طبائع الافاعي الكبيرة

وبعض الاوهام الشائعة عنها (١)

الشائع عند العامة ان كل افعى كبيرة من نوع البواء والحقيقة انه وجود البواء مقتصر على مناطق امريكا الاستوائية . وهي كثيراً ما تكون اصغر جداً من الافاعي التي توجد في اسيا وافريقية ويطلق عليها اسم البيثون . والبواء يندر ان يزيد طولها على عشرين قدماً وفي الغالب تكون اقل من ١٥ قدماً

وتعرف اكبر افاعي البواء بالانكوندا وهي تستطيع ان تعيش في الاشجار وماء النهر على السواء واكبر مثال عرفهُ العلماء لهذا النوع جلد واحدة منها محفوظ في المتحف البريطاني بلندن طولهُ ٢٩ قدماً وقد ذكر بعض اهل الاسفار في كتاباتهم انهم شاهدوا افاعي من هذا النوع طول الواحدة منها ٣٠ قدماً . والراجح ان متوسط طول هذا النوع الخاص من البواء ٢٠ قدماً

والبواء تختلف اختلافاً كبيراً عن افاعي افريقية الضخمة طولاً وشكلاً وتركيباً . فاكبر الافاعي التي درس العلماء طبائعها واحدة تعرف بالبيثون وهي مرقطة ترقيطاً يشبهُ الشبكة ويطلق عليها ايضاً اسم الافعى الملكية لكبر حجمها وافعى قوس قزح لما يرى على قشورها من مختلف الالوان . وقد بلغ طول الواحدة منها ما يزيد على ثلاثين قدماً ولا يستغرب وجود افاعٍ منها طولها بين ٢٥ قدماً و٢٩ قدماً وهي من اجمل الافاعي الكبيرة شكلاً ولوناً وتوجد في سيام وسومطرى وبرما وبورنيو وجزائر الفيلبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية

هذه الافاعي الضخمة كشكل الافاعي تسلخ جلدها في اوقات معينة و يتفاوت الزمن بين سلخة واخرى يتفاوت عمر الافعى وصحتها وحرارة المكان الذي هي فيه وهل هي سريعة النمو او بطيئتهُ وهل تعيش عيشتها الطبيعية او هي اسيرة في قفص

فاذا كانت الافعى صغيرة السن سريعة النمو سلخت جلدها مراراً اكثر مما تسلخهُ افعى طاعنة في السن بطيئة النمو . والغالب ان الافاعي التي تسوء صحتها تسلخ جلدها اكثر مما تسلخهُ الافاعي التي تتمتع بصحة جيدة . والافاعي التي تحفظ في اماكن دافئة تسلخهُ اكثر من التي تحفظ في اماكن باردة

(١) للاستاذ هنري شيك في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية

واذا كانت الافاعي مطلقة الحرية تعيش عيشتها الطبيعية سلخت جلدها كاملاً وأما اذا كانت اسيرة في قفص فالغالب انه يُسلخ جلدها قطعاً قطعاً وفي كثير من الاحيان تحتاج في سلخه الى مساعدة من يعهد اليه العناية بها سواء كان ذلك في حديقة حيوانات او شركة غايتها الانتقال من بلد الى الآخر لعرض الحيوانات . وقد حاولت ان اسلخ جلداً كاملاً من افعى اسيرة من نوع البيثون فلم افلح انما افلحت في سلخ أفعى هندية اسيرة بعد ما وُضعت في ماء فاتر نحو ١٢ ساعة ثم امسك بها خمسة رجال تولى احدهم سلخ جلدها فقضى اربع ساعات قبل انجاز عمله . وهذا الجلد ليس الجلد الحقيقي بل هو الطبقة السطحية من البشرة . واما الجلد الحقيقي الذي تصنع منه احزمة السيدات والمحافظ التي يحملنها فلا يستطاع الحصول عليه الاَّ بعد موت الافعى

من المعتقدات الشائعة انهُ يجب حفظ الافاعي الاسيرة على الجليد . والحقيقة على الضد من ذلك اذ يجب حفظها في اماكن دافئة . وهذا يصح بنوع خاص على الافاعي الاستوائية . فاذا وضعت الافاعي الاستوائية في اماكن حرارتها اقل من ٧٠ درجة بميزان فارنهيت اي نحو ٢١ درجة بميزان سنتغراد تعسّر عليها هضم طعامها فيبقى في معدتها و يختمر فيها. وقد رأيت مرة افعى من الافاعي الاسيوية الكبيرة منتفخة ولما بحثتُ عن سبب الانتفاخ وجدتهُ ناجماً عن برد الافعى فلم تستطع ان تهضم طعامها . وكثيرون من المشتغلين بعرض الحيوانات يستعملون مصابيح البترول لتدفئة اقفاص الافاعي

وليس في مقدرة انسان ما سواء كان رجلاً او امرأة ما يمكّنهُ من التأثير في الافاعي فيجعلها تنقاد لهُ صاغرة. فلست تجد افعى لها من العقل والادراك ما يمكّنها من التمييز بين شخص وآخر. والعامل الوحيد الذي يمكن بعض الناس من التسلط على الافاعي قائم في معاملتها بالحسنى وتعويدها ذلك. كذلك لا تستطيع افعى من الافاعي ان تؤثر في الطيور او غيرها من الحيوانات . فقد قيل ان اكثر المخلوقات ومنها الانسان يولد وفيه خوف طبيعي من الافاعي الاَّ ان التجارب اثبتت فساد هذا القول والطيور ترتع بالقرب منها امام الحيات لا خوفاً منها بل لتصرفها عن عشاشها وصغارها

ومن الاوهام الشائعة ان لسان الافعى المشقوق يستعمل للسع وهو خطأ لان لسان الحية لا يضرُّ احداً بوجه من الوجوه وتراهُ في افواه الافاعي السامة وغير السامة على السواء . وكل ما فيه ان الافعى تستعملهُ للذوق كما يستعمل الانسان لسانهُ . والراجح ان حاسة الذوق فيه قوية حتى لتستطيع الافعى ان تشمّ به بعض الروائح القوية في الهواء

وليست الافاعي الافريقية والاسيوية المعروفة بالبيثون ولا البوّاء سامة . فهي قادرة على ان تعضّ حتى لتمزق لحمَ من تعضهُ ولكنها لا تسمّهُ . والجرح الذي يحدثه عضتها يندمل سريعاً في الغالب لان اسنانها ملساء لا يعلق بها شيء من فضلات الطعام التي تدخل الجروح وتخمر فتسبب التهابًا فيها وتسمماً في الدم . وهذه الافاعي الكبيرة تستعمل اسنانها لتمسك فريستها بها لا لتمضغها كما يُظن ولذلك تراها ملساء بسيطة التركيب متجهة رؤوسها الى الخلق ومتى اطبقت فكيها على شيء تعذّر اخراجهُ من غير تمزيقهِ

والغالب ان الافعى من هذه الافاعي تعضُّ فريستها حيث يتفق لها ثم تلتف عليها مرتين او ثلاث مرات وتضغطها حتى تميتها وبعض الافاعي الصغيرة تبتلع فريستها حية ولكن الكبيرة القوية تقتلها اولاً

ويصعب على افعى من هذه الافاعي ولو كان طولها ثلاثين قدماً ان تبتلع فرخة حية . ولذلك تميتها لا لتقلل حجمها كما يعتقد كثيرون بل لان الفريسة الحية تتحرك فيصعب ابتلاعها ومتى اماتت الافعى فريستها بدأت تبلعها مبتدئة من رأسها . وفي بعض الاحيان تشرع احدى الافاعي بابتلاع فريستها من مكان آخر غير الرأس ولكنها لا تسير في عملها طويلاً حتى تجدهُ مستحيلاً اذا لم تكن الفريسة صغيرة الحجم جدًّا

ولا تغطي الافعى فريستها باللعاب قبل ابتلاعها ولكن حالما تدخل الفريسة الفم يسيل فيها سائل يبللها حتى يجعلها سائغة . وتستطيع هذه الافاعي ان تبتلع فريسة قطرها اربعة اضعاف قطر حلقها . وذلك لان مفاصل الفكين مرنة يمكن تمديدها . وقد رأيت مرة فكي من الافاعي الكبيرة ينفصلان احدهما عن الآخر نحو ٩ بوصات

تحكى حكايات كثيرة غريبة عن مقدرة الافاعي على ابتلاع الحيوانات وقتلها بالضغط عليها . ولا شك عندي في ان افعى يختلف طولها بين ٢٥ قدماً وثلاثين قدماً تستطيع ان تميت حيواناً حجمهُ حجم الحصان او الثور فقوة الضغط فيها تفوق التصوّر . وقد حدث لي انهُ لما كنت اطعم حية منها في احد الايام لفّت ذنبها على كاحلي ولما حاولت ان اتملص منها اضطررت ان استعمل يدي الاثنتين وكل قوتي

حدثني احد الجنود الانكليز الذين قضوا زمناً طويلاً في الهند قال انهُ رأى افعى ضخمة تلتف على حصان ولما ضغطت عليه تكسرت عظامهُ ووقع ميتاً في الحال . ولكن ما من افعى تستطيع ان تبتلع حيواناً كبيراً كهذا . على اني لا ارى سبباً يمنع احدى هذه الافاعي من ابتلاع انسان عادي وقد قال لنا الرجل الذي ابتعنا منهُ اكبر الافاعي

التي كنا نعرضها على الناس وطولها يزيد على ٣٢ قدماً ان لدينا صورة لهذه الافعى وهي تبلع ايلاً وزنهُ ٧٦ رطلاً . وقد ابتلعت وهي في ادارتنا خنزيراً وزنهُ ٤٥ رطلاً

والغالب ان الافاعي لا تهاجم الانسان او الحيوانات الثديوية الاَّ اذا دفعت الى ذلك لكنها تهاجم الحيوانات التي يسهل عليها ابتلاعها كالطيور والحيوانات البرونة التي يتراوح وزنها بين ٢٥ رطلاً و٤٠ رطلاً او اقل من ذلك . ومتى قُبض على احدى هذه الافاعي تحارب حرب الابطال للتخلص من الاسر وقد تبطش بكل ما يعترض سبيلها حينئذٍ تفعل ذلك خوفاً من ان تصاب باذى فاذا عرفت ان من يسعى لاسرها لا يريد بها ضرراً استأنست به في الغالب . ولا يخلو الامر من ان بعض الافاعي التي تبقى خبيثة تتحين الفرص للبطش بصاحبها

ومن الاوهام الشائعة ان هذه الافاعي لا تأكل الاَّ فريسةً حيةً وقد يكون ذلك صحيحاً متى كانت في حالتها الطبيعية فلا تأكل الاَّ ما تقتلهُ بنفسها ولكن بعد ما يمضي عليها مدة وهي في الاسر تستأنس بمن يعهد اليهِ في العناية بها وتأكل ما يقدمهُ لها

اما اذا كان ما يقدم لها فيهِ اثر ما للفساد فانها ترفض ان تأكلهُ . وقد رأيت مرة افعى تتقيأ لانها ابتلعت طعاماً طعمهُ فاسد . فحاسة الشم والذوق في الافاعي حادة جداً

ويتألف طعام الافعى الكبيرة في الغالب من الكتاكيت والارانب وتستطيع الواحدة منها ان تأكل ستة او سبعة في طعام واحد ثم تبقى نحو اسبوع من غير ان تطلب طعاماً. ذلك لان هضم الطعام يستغرق هذا الوقت وهي تهضم الطعام كلهُ حتى العظام. واما ريش الطيور وشعر الارانب فلا يهضم. ومتى اكلت الافعى كفايتها وشرعت تهضم طعامها قلّت حركتها . وعلى الضد من ذلك فان حركتها تزداد حينما تجوع فتسير وراءها مرفوع تطلب فريسة تلتهمها . وقد ذُكرت افاعي بقيت من سنة الى سنتين من غير طعام

ويحدث من آن الى آخر ان افعى ترفض ان تأكل . وهذا الرفض لا ينجم عن عزمها على الاضراب لانها لا تنزل الى هذا الحد ولكن اذا سافرت سفراً طويلاً من بلاد الى اخرى كسفرها من الهند الى اميركا فقدت شهيتها . في حالة كهذه تدخل الى معدتها بيضاً مخفوقاً مع اللبن بواسطة انبوب من المطاط . وبعضهم يدخل خنزيراً من خنازير الهند او صوصاً في حلق الافعى وفي القالب تعود شهيتها للطعام بعد ما تضعها على الاكل وتجري بعد ذلك جرياً طبيعياً في طعامها